

صور من الحياة البائدة

للآنسة أسماء فهمي

درجة شرف في الآداب

على ضفاف « بحر يوسف » حيث قام في العصور السحيقة قصر « آتية » أو « اللابرتة » وفي وسط الحقول النضرة ظهر في جلال على ربوة تناثرت فوقها نباتات برية مزدهرة يقوم قصر آل عباد الفخيم . ولم يشأ القصر أن ينجم مع ما يحيط به من بساطة فأعرق في الزخرف والزينة وأبى إلا أن يجمع بين إسران الفن القوطي من تماثيل رمزية وأبراج ، وروعة الفن العربي من نقوش وعمد ، فيدا وكأنه الحساء التي طمعت أن تزداد حسنا فأسرفت في الزينة والتبرج ، فهوى جمالها النضر في خضم من الأسياف والمساحيق الجامدة . . . ولكن سكان القصر وأغلب زائريه كانوا يقفون مبهورين امام شفايته ، لأن البندخ والأسراف كانوا لهم مقياس الفن والجمال .

ولم يكن داخل القصر بطبيعة الحال اقل زخرفا أو إغراقا في التجمل من خارجه . وكان الابدأ الذي اتبع في تأييث القصر النيف هو اقتناء أتمن الأشياء من بلاد الشرق وممالك القرب وتكديسها في القرب دون مراعاة لما بين أنواعها من تقادم أو تنافر ، والواقع أن أمثا المنزل كان دوليا بكل ما في الكلمة من معنى التباين والتنافر ! وسكان الدار ؟ كانت أيضا خصلهم وعاداتهم خليطا من صفات الشعوب في عصور التاريخ المختلفة ، فلقد جمعوا بين ديمقراطية العرب وسخائمهم وتعصب أهل القرون الوسطى في الدين واحتقارهم للمرأة ، وبين رخرف القرن الثامن عشر وانغمسه في

وعصبة الأمم ، ومسألة استقلال النمسا وضمان السلم في أوروبا الوسطى . وقد أفاضت الصحف الألمانية في أهمية هذا الاجتماع وخطورة أثره في مستقبل السياسة الأوربية ؛ وكانت الصحف الإيطالية أكثر تحفظا . ولا ريب في أهمية الاجتماع وخطورته ؛ ولكنه من جهة أخرى دليل على خطورة المآزق التي صارت إليه ألمانيا في ظل الوطنية الاشتراكية ، وعلى جزعها من عواقب النزلة السياسية التي انتهت إليها ، وشموورها بالحاجة الى التعاون الخارجي .

« ع »

التي قام بها قبيل الحرب الكبرى في روسيا وما انتهت إليه من توثيق التحالف بين روسيا وفرنسا .

اجتماع هتلر وموسوليني

وقد كان لهذه الحركة التي قامت بها فرنسا في تنظيم الجبهة الجديدة وقع عظيم في ألمانيا لأنها هي المقصودة بها قبل كل شيء . وقد شعرت ألمانيا الآن بمخطر العزلة السياسية والاقتصادية التي انتهت إليها ، وكان للسياسة المتطرية وما أبدته من الننف وقصر النظر أكبر أثر فيها . ففي عام ونصف عام فقط ، منذ قيام الطغيان المتطري في ألمانيا ، فقدت ألمانيا كثيرا من عطف الرأي العالمي ، وقدت صداقة روسيا السوفيتية وما كانت تتمتع به فيها من مركز اقتصادي ممتاز ، وأثار عنف السياسة المتطرية عليها كثيرا من الأحقاد في النمسا وتشيكوسلوفاكيا ، ودفعتها بسرعة الى طريق انحراب الاقتصادى . وقشعر المتطريون بمخطورة المآزق الذي دفعوا اليه ألمانيا ، ولم يجدوا قلة يتجهون اليها اليوم في أوروبا غير إيطاليا . والسياسة الإيطالية تشمر بمطف خاص نحو ألمانيا المتطرية أولا لما بين الطغيان الفاشستي والطغيان الإيطالي من وجوه الشبه في الوسائل والغايات ، وثانيا لاتفاق الرأي بينهما في بعض المسائل الخارجية مثل وجوب تنقيح معاهدة الصلح ، وميثاق عصبة الأمم ، وتسوية مسألة نزع السلاح على قاعدة المساواة بين الدول العظمى . هذا وإيطاليا تشمر نحو السياسة الفرنسية في القارة بنيرة شديدة وتتوجس من عواقبها ولا سيما في أوروبا الوسطى ، وتحقد على فرنسا لأنها تحاول دون توسعها الاستعماري في أفريقية ؛ والخلاصة أن هنالك أسبابا وبواعث كثيرة تجمع بين ألمانيا وإيطاليا في الظروف الحالية ، وتقرب بينهما في الرأي والغايات .

تلك هي العوامل التي حملت هتلر زعيم الوطنية الاشتراكية الألمانية ، وموسوليني زعيم الفاشستية على اللقاء بسرعة للبحث والتفاهم . وقد تم اللقاء بين الزعيمين في مدينة البندقية (فينيزيا) واستمر يوم ١٤ و ١٥ يونيه . ولم تدع تفاصيل شافية عما دار عليه البحث أو تقرر ؛ ولكن المفهوم أنه تناول كل المسائل الخطيرة التي تبهم البلدين ، وفي مقدمتها مسألة التوازن الأوربي ، ومقاومة السياسة الفرنسية في تنظيم الجبهة الخصيمة ، ومسألة نزع السلاح

لولا ضعفها البادى وشحوبها لما بخل عليها حتى أقصى حسادها بوصف الحسن الرائع ، ولكنها كانت كالزهرة التي اقصيت عن الضوء والهواء فذبلت وسدلت أوراقها . ولم تحاول الفتاة أن تحيى الشحوب بالأصباغ (ولإن كانت قد اجتهدت في اخفاء التحول بكثرة الكرايشش والديول) لأن ذلك العهد لم يسمح للمرأة أن تتجمل الا اذا كانت ذات بمل . . أما المذهب الذى يدعو إلى الاهتمام بالفن للفن ، فلم يكن مألوقا عند بنات ذلك العصر ، وانما هو من مستحدثات هذا القرن !

كرت الأعوام على هذه الأسرة والحياة تسير على وتيرة واحدة لا تنوع فيها الا تغيير انواع الطعام الكثيرة ، وتبديل الملابس والجواهر التي اكتظت بها الصناديق والخزائن — ولكن لم تلبث الأيام التي تله العجائب أن تخفضت عن حادث هام أدخل في حياة الأسرة الراكدة امتعاشا وجدة . . وحول تفكيرها الى مجرى غير مجرى الطعام والشراب والملبس . . فلقد خطب الشاب مراد ابنة عمه «سمر» إلى أبيها ، وقبل الشيخ عباد راضيا مسرورا ، لأن مرادا كان يمتاز بأسمى صفات الرجولة من نيل وشجاعة وقوة فوق جلته المريض وجماله . وقد فرحت الفتاة سمر عند وقوفها على هذا النبأ ، لأن مرادا كان رفيقا في عهد الطفولة ، وهى وان كانت لم تره منذ زمن بعيد كانت تسمع الكثير عن خصاله وجماله

وكانت الأم منذ اعلان الخطبة لاطيق ابتعاد ابنتها عن مجلسها ، وفي ذات يوم فاضت عاطفة الأم عند ما تذكرت انه لم يبق على زفاف ابنتها سوى ايام قلائل ، فحرت نفسها نحوها بمجهود غير يسير ، ووضعت ذراعها الغليظة حول جسم الفتاة التحيل ، وقالت وهى تلهث من التعب : — أواه يا ابنتى ! عما قليل سترفين الى ابن عمك مراد ، لا يحزننى أمر فوق ما يحزننى منك هذا التحول . . اتوصل اليك يا سمر أن تأكلى وتشربى كل ما آتىك به . . وليس هناك من داوئ للتحول كشراب كوبة من السمن الخالص أو الحلى بالعسل كل صباح وكل مساء . . انظرى إلى أمك ! انها لم تستمتع بهذا الهيكل العظيم من اللحم الذى يحسدها عليه جميع نساء آل عباد الا بفضل هذا الدواء الناجع الذى أشير به عليك الآن . .

قالت الفتاة وقد توردت وجنتها احياه لذكر موضوع الزفاف ،

الترين ، وأضافوا إلى كل ذلك تفانى أهل القرن العشرين في عبادة المادة . .

وكان رب هذه الدار عميد آل عباد الشهيرة في الفيوم شيخا مسنا معروفا بالتقى والكرم في عناد وصلابة . ولكن على الرغم من تقواه كان لا يتورع من أن يزيد في ثروته الطائلة بأى وسيلة تصادفه ، وكان إذا أصبح الصباح يادر بالجلوس على حصير متواضع في أحد أجزائه الفسيحة ، وسرعان ما يجتمع حوله فلاحوه واتباعه يسطون أمامه خصوماتهم ومشاكلهم فيقضى بينهم في وقار وحزم كما كان يفعل النبيل في عهد الأقطاع . . حتى اذا ما حان وقت الغداء ، أمر بإعداد الموائد للاتباع والقراء ، وبأبى السيد الا أن يأكل معهم برغم احتجاج ابنته الذين أخذوا بقسط من مظاهر المدينة الحديثة ، ودرسوا علم الجرائم الاجتماعية ووقفوا على أن الفقراء والموزين من أفئدة أنواعها ! ولكن الشيخ كان يرد على مثل هذا الاحتجاج باسمائنا : إن الفقراء أحبب الله . . واذا ما نادى متاد للصلاة هربول الشيخ الى مسجد القرية تتبعه جموع الرجال . وقد أدى ورع السيد الى تورع الأتباع حتى أكثر الأشقياء جيروقا وعتورا . .

أما زوجة السيد فلم تكن على شئ من نشاطه ويساطته ؛ قضت حياتها كلها قعيدة دارها لم تخرج منها الا يوم وفاة امها منذ أكثر من عشرين عاما . وكانت على جانب عظيم من البدانة لا تردى من الأتواب غير الحرائر النادرة التي يطول ذيلها امتارا وراءها . . وتحمل حول عنقها واناملها وممصميا وفي أذنها أرتالا من اللؤلؤ والماس والذهب ، فضلا عما أكثرت من الأصباغ المختلفة الألوان في الرأس والوجه واليدين والقدمين ففاست شخصيتها في خضم من الساحيق والحرائر والجواهر . . وبدت في مجلسها كصنم هائل تكدست فوقه ترايين الحلى والجواهر وضمت حينما اتفق لأرضاء عاطفة الورع . .

وقد كانت بطبيعة الحال لفرط بدانتها وتقل احجارها المكريمة بطيئة الحركة تشتد ضربات قلبها لأقل مجهود ، وقد ترتى على مقعدها اعياء لمجرد محاولتها النهوض ، فيأتى رهط من الخدم للأخذ بيدها وانهاضها كما لو كانت عجوزا شمطاء قد قطعت شوطا بعيدا في طريق العدم .

وعلى مقربة من الأم كانت تجلس ابنتها «سمر» وهى عادة هيفاء

قالت الأم بصوت خافت لا يخلو من رعشة الوجع : -
ولكننا لا نجد عرساً لابنتنا خيراً من مراد، فلا تحجم عن
التضحية من أجله .

فأجاب الأب وهو يرتجف من شدة الغضب : انك شديدة
النباوة يا « منى » . . انى قادر على مصاهرة من يدفع لى من المهر
أضعاف أضعاف مادفع أخى لابنتى - لقد كانت على عيني غشاوة
عندما قبلت هذا المهر من اللثيم أخى . .

أخذت الأم تحس بالجلب والحول أمام غضبه ، فقالت باستسلام
انك على حق دائماً يا سيدى . .

نهض الشيخ بمخفة الشباب وأسرع للاشراف على معدات
العرس ، اذ كان قد وطد العزم على اتمامه فى اليوم التالى متظراً
من ورائه اتمام صفقة رابحة ، وهذا نفس ما كان يرجو أخوه . .

نصب السرادق وسطمت الأنوار ، وصدحت الموسيقى ،
وأطلقت البنادق وزغرذت النساء ، وظهر قصر آل عباد فى حلة
قشبية من الزينة والبهاء فى ليلة الزفاف . وأسرع وجهاء القوم
بالحضور الى الغيوم من الدلنا والصعيد ، ليروا أبرع نموذج فى البنخ
والاسراف ، اذ كان لآل عباد من الشهرة ومن الثروة ما كان لخارويه
وكافور الأخشيد . . واكتظت حجرة العروس بكرائم المقاتل
وكرائم الجواهر، وتعالى أصوات المنقيات البديئات بالغتاء ، وأخذن
فى الرقص والالتناء أمام العروس كالحيات . .

ولكن العروس كانت عن كل ذلك فى شغل ، فقد غلب عليها
الحول فتركت العنان لغيراتها ، ولم يستغرب منها أحد هذا الأمر ،
لأن بكاء العروس ليلة الزفاف كان من الأشياء المألوفة المرغوبة ، اذ
كان يمد مرض الحياء ودليل الرفاء والطهر . . . ومن جفت
دموعها فى تلك الليلة فقد حكم عليها بالجرأة وغلظة القلب . .

ولم تلبث الحياة أن استمدت مجراها الطبيعى الهادئ
وانقشعت سحب الرهبة والحول التى طالما تجمعت فى سماء حياة
الفتاة قبل الزواج ، اذ وجدت فى قرينها من العطف والود ما أنساها
شكوكها وملاها سعادة رجاء واختلاصاً له . وفى ظل زوجها
ورعايته نسبت أقوال أمها عن الحماة انشريعة ، بل إنها وجدت فى
حماتها قديسة طاهرة لا تحمل فى نفسها إلا التسامح والعطف . .

أسف لا يلامك يا أماء . . سأحاول مرة أخرى تعاطى هذا الدواء ،
ولكنى أوتر البقاء بجانبك طول الحياة . . انى لأرتعد فرقا عند
ما أفكر انى سأعادر هذه الدار المحبوبة قريباً لأذهب الى دار غربية
لأعلم من أمرها أو من أمر ساكنها الا ما أسمعه من أفواه الرواة . .
انى لم أر عمى « قاسما » الا مراراً معدودة ، كنت فيها لا أجسر
على مخاطبته أو النظر فى وجهه استحياء . . أهو طيب القلب
يا أماء ؟ وزوجه ؟ أحقاً ما نسمعه من أنها شديدة الورع ؟ . .
أجابت الأم وهى تحاول إخفاء تأثرها : عمك يا ابنتى كأبيك
نبيل كريم . أما زوج عمك فهى شديدة التقي كثيرة التبدل ، ولكن
ذلك قد لا يمنعها من ان تتصف برذائل الحماة . . وما ادراك يا سمر
ما الحماة . . انها نار الله الموقدة ، أو احد شياطين الجحيم الردة . .
انى يا ابنتى لم اتذوق طعم الحياة الرغيدة الا بعد أن ماتت حماتى ! .
ارتعدت فرائض الفتاة عند سماع هذا القول وأبرقت عينها
بيريح الكره والحول معاً ، وقالت والمسرات تكاد تحبس
صوتها : - وماذا أنا قاعلة يا أماء ؟ . .

- إخضى لحكم القدر ، واستسببى رب الفلق على شر
ما خلق ! . .

انهمرت عبرات الفتاة على الرغم من إيمانها الشديد . ودخل
أبوها مهرولاً فى تلك اللحظة فانقطع مجرى الحديث ، لأن الفتاة
أسرعت بالاختفاء إذ أصبحت لا تجرؤ على مواجهة أبيها منذ
خطبها مدفوعة بعامل الحياء الشديد . . . ولم يحاول الأب
استبقائه فتاه وان كان الموضوع الذى أتى ليعالجه مع امرأته يعنى
الفتاة دون سواها ، لأنه أتى طبعاً ليتكلم فى موضوع العرس ، هذا
الأمر الذى كان محور حديث الأمر ، ماعدا الفتاة التى قضت عليها
التقاليد يكتمان آرائها ورغائبها وعدم الخوض فى موضوع الزواج . .
قال الأب بعد فترة سكون لم تحاول الأم بدء الحديث فى أمثالها
برغم تشوقها للوقوف على أحدث تفاصيل موضوع العرس ، لأنها
كانت تهاب الزوج وتخشاها .

سبب كل شئ بعد أيام باذن الله على رغم تجدد الخلاف بينى وبين
أخى قاسم من جرأه اقتسام تركة أمنا المتوفاة . إنه بصر على أن
يأخذ منها ما وقع عليه اختياره ، وينتهز فرصة العرس ليجمع لى على
التساهل . . كلا . . ومن يده الملك ، ولو آل الأمر الى ذلك أعلام
الزينة واطفا ، أوار الأفرح . .

كان أبوها بسبب حام غضبه على الحوفى ويتهمة بالبلادة والبطء
ويتوعدده باستعمال السوط !

تراحت الأفكار السوداء في رأس الفتاة الصامته فداخلها
الندم ، لأنها تذوقت طعم السعادة ، وودت لو أنها كانت نسة في
حياتها الزوجية ، حتى كانت تقترح بالفرار منها والعودة الى دار أبيها ..
وأحزنها أنها لم تجد في حماها شيطاناً مريداً ، وأن زوجها لم يكن
جباراً عتياً ..

وأخيراً عندما لاحت أبراج القصر خاطب الوالد فتاته بعطف
اذ كانت قد بردت ثورة الغضب :

ألا يتنجسين بمرأى أمك يا سمر؟

ولما لم تنجح الفتاة في تكلف الانشراح خاطبها قائلاً :
لا أشك في أن عمك قائماً ووزوجك مراداً سيحضرن الينا
خاضعين ذليلين عندما يشعران بفقدك ، ولا إخلالها الا قادمين قبل
انطواء أسبوع واحد ..

ولكن مرت أسابيع وأشهر ، واكتملت دورة الأرض حول
الشمس ومراد وأبوه لم يقدموا ، على أن الفتى كان يرغم ارغماً على
الخضوع لأبيه ، اذ كان كالفتاة عبداً للتقاليد الجائرة ..

وكانت الفتاة تنظاها بالشجاعة والابتهاج عندما شعرت
بجزن أمها من أجلها . ولكن مجهود التكلف المضني والآلام
المبرحة التي كانت تأكل قلبها سرعان ما أنهكت قواها وأنسحت
الطريق للمرض المعضال الذي لا يعرف الرفق بالشباب ولا الجمال ،
ولما اشتد بها الألم أشفق عليها ملاك الموت فأسرع لتجنسها وبسط
على تلك النفس الطيبة الوفية جناح الرحمة الأبدية ..

أسماء نهمى

الرسالة في شهر الصيف

تسهيلاً لوصول الرسالة الى قرائها مدة

المطلة تقبل الادارة الاشتراك الشهرى بواقع

أربعة قروش عن كل أربعة أعداد تدفع مقدماً

وهكذا نعمت الفتاة بميستها ، وساعدتها وداعتها ورقها وطيب
عنصرها على ادخال السرور على من حولها ..

ومضت أشهر فلال والفتاة لا تفكر في مرور الوقت
ولا تتكرث لمعرفة الأيام ، اذ لم تكن ترقب حدوث تغيير أو وقوع
مجديد ، لأنها كانت راضية عن حياتها كل الرضا ، لا تعرف ولا تطمع
في خير منها .. ولكن هل يفر بطيب العيش انسان ؟

خرج مراد كمادته مبكراً مشرق الجبين للاشراف على شئون
مزارعه ، وجلست الفتاة في ردهة فسيحة أنيقة تحيط بعض الثياب
لأطفال الفقراء ، اذ كان لا يسمدها أكثر من رؤية ابتهاج الأطفال
عند ارتدائهم الثوب الجديد ، واذابها تسمع جلبة أصوات في فناء
الدار ، فأرهفت السمع ، وسرعان ما تبينت صوت أبيها يتهدج
بالغضب وعمها يجيبه بمجدة ، ثم انقلبت المحاوره الى شجار عنيف
وتقاذف بالتهم والبارات الجارحة ، فاضطرب فؤادها وتزلت مسرعة
تبحث عن من يأتي بزوجها ، اذ توقعت حدوث أمر رهيب ،
وشعرت بحاجة لحماية . ولكنها لم تكذب تحظو خطوات حتى
سمعت أباها يناديها بصوته الهائل الأجنس فوقفت منعدودة
لا تيدى حراكاً ..

وسرعان ما وقتت على مسامها كلمات كانت كالخكم عليها
بالموت «هيا مى يا سمر .. ليس لك بقاء بعد اليوم في هذا البيت ..
الترمل خير لك من العيش في هذا الجو الموبوء بالخداع واللؤم ..
عمك يأبى الا الاستيلاء على أطيب جزء من ميراث جدتك ..
لقد أندرتة بفسخ زواجك من قبل إن هو أصر ..»

— ولكن يا أبت .. ألا تنتظر عودة مراد ؟ . أليس له في
الأمر شئ ؟ .. ؟

— له في الأمر شئ ؟ ! ما هذه الجرأة يا بنية ؟ أتعجزين على
مجادلة أبيك ابتناء مرضاة زوجك ؟ — لا تزيد حرقاً . انطلق
أمانى الى دار أبيك ..

أصابت الفتاة رعشة واعتراها دوار ، فسارت أمامه متناقلة
وضاق أبوها ذرعاً بهذا البطء ، فجنسها مسرعاً الى حيث كانت
بانتظاره المركبة ..

انطلقت الخيل تهب الأرض نهياً ، ولزمت الفتاة الصمت ، بينما